

وقد قنعت منك العصابة كلها  
وما بيننا هذا التفاوت كله  
فقال: ولم بعشر؟ وهلاً قالوا: بمثل. ثم وصلهم وأحسن إليهم.  
وقتل نصر في السنة الآتية.

### أبو الفتح منصور بن أحمد<sup>(١)</sup>

ابن دارست، وزير القائم بأمر الله، كان له مالٌ عظيم، فقيل للقائم: هذا أمين وهو غني النفس. فاستوزره، فلم يكن له دربة بالوزارة، وكان سيئ التدبير.

### السنة الثامنة والستون وأربع مئة

فيها في يوم الثلاثاء ثالث المحرم خرج مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد يريد والده، وكان أبوه قد مرض، وخرج معه أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي الشاهد رسولاً من الديوان إلى إبراهيم بن مسعود صاحب غزنة يخبر بوفاة القائم وإقامة المقتدي.

وفي يوم الاثنين سابع صفر فتحت قلعة منبج، وارتجعت من يد الروم بعد حصار طويل سلمها الحافظ لها بأمان إلى نصر بن محمود صاحب حلب، وأعطاه إقطاعاً ومالاً، وكانت مدة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهراً، فإنها أخذت في المحرم سنة إحدى وستين وأربع مئة.

وفي صفر ورد العميد أبو نصر إلى بغداد مطالباً للديوان بمئة ألف دينار من إقطاعه وإقطاع حواشيه، وقال: العساكر كثيرة، وما عند السلطان مالٌ. فلم يجبه الخليفة، وأخرج عميد الدولة وظفر الخادم إلى السلطان بهذا السبب، ولم يلتفت العميد إلى مجيء الجواب، بل أدخل يده في الإقطاع، وصرف بواب الخليفة وولأها الأعاجم، وورد سعيد الدولة الكوهراني إلى بغداد بسبب الوزير ابن جهير، وعزله لأجل نظام الملك، فخرج الوزير إليه فتلّقه، فلم يلتفت إليه، ونزل أصحابه في دور الناس،

(١) المنتظم ١٧٠/١٦.

وفعلوا كلَّ قبيح، وجاء الحلباشية إلى الديوان، وخرقوا الهيبة، وصالوا وجالوا، وخاف الوزير، وقال: أنا أخرج إلى السلطان وأبين له كذب ما قيل عني، وأذكر سابق خدمتي، وبالأمس بعث قاروت بك إلى القائم يبذل له ثلاث مئة ألف دينار ليؤليه الأمر، فأشرتُ بأن لا يؤليه خدمة السلطان، ويكون جزائي هذا التهديد، وكان مع سعد الدولة كتاب مختوم إلى الخليفة، وأظهر أن عزل الوزير فيه، فلمَّا فتح الكتاب لم يكن فيه عزله، وإنما كان فيه في بعض الفصول: أيها الوزير، إن أصحابنا العائدين من بغداد يذكرون اتِّفاقك لحوائجهم وإعراضهم، ويجب أن تزول هذه الطريق عن هذه الخلائق، وإلا كاتبا الحضرة الإمامية بالكراهة لك، التي تقتضي الاستبدال بك، والتعويل على من يكون أصحابنا له شاكرين، ولأفعاله حامدين. فقدم الوزير على ما بدر منه في معنى قاروت بك، وقال لسعد الدولة: لو أعلمتني أن الكتاب يشتمل على ما يتعلق بك لكنكُ جمعك من الناس أكثر مما جمعت، لكنكُ أسأت التدبير [وفعلت ضدَّ الصواب. وطاب قلب الوزير]<sup>(١)</sup> وبعث بالكتاب إلى الخليفة، فطابت نفسه ونفوسُ الحاشية، ثم جاءت كتب السلطان بعد ذلك بالإفراج عن إقطاع الخليفة والحاشية.

وفي جمادى الأولى ورد رسول أئبيز التركماني صاحب الشام ومعه ولد قُتلِمِش المأسور وأُخِّ له صغير، فتسلَّمهما سعد الدولة الكوهراي، وبعث بهما إلى السلطان، وفي هذا الوقت أخذ أئبيز رَفْنِيَّة<sup>(٢)</sup>، ونهب أعمالها، وراسل نصر بن محمود صاحب حلب وقد طمع في شيء من أمواله وأموال أبيه التي خلفها، وطالبه بتزويج أخته، وتسليم البلاد، واستقرَّ الأمر على أن بعث له خمسة عشر ألف دينار، وعاد إلى حصار دمشق، فإنه ما زال مضايقاً لها، ونازل طرابلس وصور وأخذهما خفارةً، فكانت الخطبة المصرية بها لم تتغيَّر، والعزُّ يدخلون إلى صور فيبيعون ويشترون ولا يقيمون فيها، وعلى هذا كانت الهدنة.

وفيهما قُتِلَ محمود بن نصر صاحب حلب، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) رَفْنِيَّة: مدينة من أعمال حمص، وقال قوم: هي بلدة عند طرابلس من سواحل الشام. معجم البلدان ٣/٥٥.

وفيها وردت الأخبار بأن بدرًا أمير الجيوش بمصر لبس الدرّاعة<sup>(١)</sup> التي برسم الوزارة، حتى لا يترتب في الوزارة من يُفسد عليه الأمور، وخرج إلى الصعيد لقتال السودان واستعادته منهم، فإنهم كانوا قد استولوا عليه.

وفيها ظفر القاضي جلال الملك بن عمار بكتب من بدر الجمالي إلى جماعة من وجوه طرابلس تدني عن موافقة تجري بينهما في القبض على جلال الملك، وتسليم البلد إلى من يبيده القبض عليه، فقبض عليهم، وصادرهم، وقتل منهم، ونقى الباقين.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال خلع الخليفة على عميد الدولة بن فخر الدولة الخلع السنّية، وفوض إليه الأمور، وكتب له التوقيع، وكانت الجبّة سقلاطون، وفرجية ديباج نسيج بالذهب، وحمل على فرس بمركب ذهب، بعد أن استدعاه ووالده وخاطبهما بما طيب به نفوسهما، وفوض إلى عميد الدولة أزيمة التدبير، وخرج معهما توقيع الخليفة إلى بيت الثوبة، وقرأ بحضرة الأعيان، وكان من إنشاء أبي سعد بن الموصلايا النصراني، وفيه بعد البسملة: إن أمير المؤمنين إذا تصفح مواقف خلاء دولته وأصفائها المبرزين في المقاصد التي عند الجمال في مطاويها وأبياتها، وجد أوفاهها في الكمال زيدا، وأكسبها في الزمان ثناء وحمداً، ما اختص به مؤيد الدولة بن فخر الدولة شرف الوزراء أبو نصر صفى أمير المؤمنين من المقامات التي غبر فيها على من مضى، وأحرز ألقاباً تنافس فيه من كرم الرضا، وأحلتته من أمير المؤمنين بالمنزلة التي لا يدانيه نظير في جلالها، ولا طمع أحد قبله في أمثالها، وحين تفرّدت بالآثار التي أصبحت غرراً في الدهر لامعة، وأحلاماً لأقسام الفخار حاوية جامعة، والمساعي التي أوجبت بها على الدولة الحق الذي لا ينكر، وأوجدت منها الطرق إلى لتي اعتمادك بالمكرمات التي يبقى شرفها على الأيام ويذكر، فأدناك من مقرّ سُدته، وناجك من مزايا الإكرام بما لا يبلغ مداك من خدمته، وذكر كلاماً طويلاً.

وفيها عزم السلطان على أن يُنفذ أخاه تاج الدولة تُش إلى الشام، وكان نظام الملك لا يؤثر ذلك، وبلغ أئسز الخوارزمي صاحب الشام، فكتب إلى السلطان: أنا الخادم الطائع النائب في هذه الأعمال التي أفتتحها بنفسي من غير أن أكلفه فيها مؤونة، ولا

(١) الدرّاعة: ثوب من صوف، أو: جبة مشقوقة المقدم. المعجم الوسيط (درع).

طلبتُ معونةً، وأقمتُ له الدعوة وما أُخْلِيتُهُ مما أقدر عليه من حمل الأموال، وقد بلغني ما عليه العزم من إنفاذ الأمير تاج الدولة تُشش، وما هاهنا من يقتضي استعمال ذلك وإبعادي عن الخدمة ونظري في جملة الأعداء والأضداد، وذكر كلاماً كثيراً هذا معناه. وقال: وأنا بإزاء مَنْ بمصر من خليفة وجند ورجال ودولة وأموال لا بُدَّ لمن يقاومها أن يجعل نفسه في عدادها، ويتحمَّل لحمالها، ولمَّا وقف نظام الملك على كتابه بعث إليه بقباء السلطان وقلنسوته [وفرسه]<sup>(١)</sup> وسيفه وتُرسه تشريفاً له وإكراماً، وطيب قلبه.

وفيها قبض بدر الجمالي على قاضي الإسكندرية ابن المُحَيَّرق وجماعةٍ من صالحيتها وفقهائها، وأخذ منهم أموالاً عظيمة.

وفي ذي الحجة وردت كتب أتت على الخليفة بفتوح دمشق صلحاً وتسليمها إليه، وسببه اتِّصالُ الحصار، وغلُّ الأسعار، وموتُ أهلها، وأن كاراة الطعام بلغت نيماً وثمانين ديناراً مغربية، وبقيت على ذلك أربع سنين، والكاريتين ونصف غرارة بالشامي، وهذا شيء كثير، الغرارة بممتي دينار ثمنها ثلاثة آلاف درهم.

وفي ذي الحجة أُعيدت الخطبة، وسببه أنَّ السلار الخراساني قرَّر مع الشريف أبي هاشم أمير مكة أن يزوجه أخت السلطان ملكشاه، فتعلَّق طمعه بذلك، ومثته نفسه الأمانى، فقال لبني عمه: إنما كنا نخطب للدولة المصرية لمالٍ يُرجى، أو خوفٍ يُخشى، والآن فلم يبقَ هناك ما نخافه، وليس من الصواب خروجنا عن دولة السلطان خوفاً على نفوسنا، وينبغي أن نبعث إلى هناك رسولاً يخبرنا بشرح الحال، فإن كانت الأمور على السداد ثبَّتْنَا على ما نحن عليه، وكان بنو عمنا أحبَّ إلينا وأكرمَ علينا، وإن كان بخلاف ذلك دبرْنَا أحوالنا. فأنفذوا إلى مصر اثنين من ثقاتهم، وأمروهما أن يظهرَا أنهما وردا للإفادة والتماس الصَّلَات، واستدعاء المال المحمول كلَّ سنة مع الكسوة، واستجلاب بدر الجمالي لهم، فذهبا وعادا ومعهما رسولٌ من مصر بعشرة آلاف دينار - وقيل: قيدٌ من ذهبٍ أيضاً مع المال وزنه ثلاثة آلاف مثقال ليحلف ابن أبي هاشم لصاحب مصر ويُقيَّد نفسه على عادتهم - وكسوة البيت دبيقية، وخَلَع لِأَمِيرِ مَكَّة

(١) مابين حاصرتين من (ب).

والعلويين، ونفقو برسوم كانت لهم، وخلا ابنُ أبي هاشم بالرسولين، وسألهما عمًا شاهداً، فقالا: ما بقي هناك ما يُستند إليه، ولا يُعوَّل عليه، والأحوال قد فسدت، والأموال قد ذهبت، والرجال قد قُتلوا، وخلت البلاد. فقال ابنُ أبي هاشم لبني عمه: قد علمتم الحال. وورد عليه كتاب سلار الحاج الخراسانية أنه قد فصل الأمر مع السلطان، والمهر عشرة آلاف دينار، فقال لرسول مصر: السلطانُ قاصدُ العراق، وأخاف منه، فأجروا الخطبة لكم حتى تُبصر ما يكون. ودفع به، وأخذ المال والخِلق، وبطل خطبة المصريين، وخطب للمقتدي ولملكشاه.

وفيها خطب أُنسز للمقتدي على منبر دمشق، وكان بها الأمير وزير الدولة لما هرب مُعلّى بن حيدرة بن منزو، فاجتمعت المصامدة<sup>(١)</sup> على وزير الدولة انتصار بن يحيى، فاختروه ليُحسن سيرته، فغلبت الأسعارُ بدمشق [وأكل الناس الميئات، ووقع بين المصامدة والأحداث]<sup>(٢)</sup>، وكان أُنسز قد أخرب ظاهرها خراباً كلياً، وضيق على أهلها، فراسلهم في الصلح، فاستوثقوا منه بالأيمان، ودخلها في ذي القعدة واستولى عليها، وحلَّ بأهلها منه قوارعُ البلاء، ونزل أصحابه في دورهم، وأخذوا حريمهم، وصادهم بحيث لم يُبق مع أحدٍ منهم درهماً، واتصلت دعوات الناس عليه وعلى أصحابه في المساجد، ثم إنه نظر في عمارة البلاد لا في عمارة دمشق، فأطلق الغلال للفلاحين، وألزمهم الزراعات، فرخصت الأسعار، وطابت نفوس الرعية. وفيها تُوفي

### أحمد بن علي<sup>(٣)</sup>

ابن محمد بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو الحسين، جلال الدولة، قاضي دمشق، في أيام المستنصر، وهو آخر قضاة المصريين بدمشق، قال يوماً وعنده [أبو]<sup>(٤)</sup> الفتيان بن حيوس: وددتُ أني في الشجاعة

(١) المصامدة: قبيلة من المغاربة. تاريخ الإسلام ١٠ / ١٥١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ دمشق ٥ / ٧١-٧٢ .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من الأصل (خ)، واستدرك من تاريخ الإسلام ١٠ / ٢٥٧ والنجوم الزاهرة ٥ / ١٠٢، وغيرها.

مثلُ جدي علي، وفي السخاء مثل حاتم. فقال له ابنُ حيّوس: وفي الصدق مثلُ أبي ذر. فنجّل الشريف؛ لأنه كان يتزيّد في كلامه.

توفي بدمشق في ذي القعدة، ودُفِنَ بداره، ثم نُقِلَ إلى الباب الصغير.

### أحمد بن منصور<sup>(١)</sup>

الغسّاني، أنشد لغيره: [من المنسرح]

أعتقني سوء ما صنعت من الرّقّ فيا برّدها على كيدي  
فصرتُ عبداً للسوء فيك وما أحسن سوء قبلي إلى أحد

### إسماعيل بن علي<sup>(٢)</sup>

أبو محمد بن العين زُرّي، الشاعر، سكن دمشق، ومات بها، ومن شعره [من

الطويل]:

وَحَقِّكُمْ مَا زُرْتُكُمْ فِي دُجْنَةٍ      من اللَّيْلِ تُخْفِينِي كَأَنِّي سَارِقُ  
وَلَا زُرْتُ إِلَّا وَالسَّيْفُ شَوَاهِرُ      عليّ وأطراف الرّماح لوأحِقُّ

وقال: [من المتقارب]

أَجِنُّ إِلَى سَاكِنَاتِ الْحِجَازِ      وَقَدْ حَجَزْتَنِي أُمُورٌ ثِقَالُ  
بَكَيْتُ ففَاضَتْ بِحُورِ الدَّمِوعِ      كَأَنَّ لَهَا مِنْ جَفُونِي انْثِيَالُ  
وظَنَّ العَوَاذِلُ أَنِّي سَلَوْتُ      لِفَقْدِ البِكَاءِ وَجَارُوا وَقَالُوا  
حَقِيقٌ حَقِيقٌ وَجَدْتَ السَّلَوُ      فقلتُ محالٌ محالٌ محالٌ

وقال: [من الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَ الأَيْكِ عَيْشُكَ أَهْلُ      وَغصْنُكَ مَيَّاسٌ وإلْفُكَ حَاضِرُ  
أَتبكي وما امتدّت إليك يدُ النَّوى      بيبين ولم يذعُر جناحك ذاعِرُ<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ دمشق ٦/٣١-٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٩/٢٦-٢٩.

(٣) الذّاعر: الخيفُ المُفزعُ. تاج العروس (ذعر).

محمد بن علي<sup>(١)</sup>

ابن محمد بن أحمد، أبو علي، الهاشمي، ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الحنبلي، سمع الكثير، وتوفي في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حرب، وكان سيداً ثقةً.

مسعود بن المحسن<sup>(٢)</sup>

ابن الحسن بن عبدالرزاق، أبو جعفر، البياضي، الشاعر، البغدادي، برع في الأدب، وتوفي ببغداد في ذي القعدة، ودُفِنَ بباب أبرز، ومن شعره: [من الخفيف]

حَبَّذا مسجداً بباب مُعلَى  
كان للدرسِ والصلاةِ محلاً  
كم قتلٍ فيه بسهمٍ لحاظٍ  
وتراني إذا دخلتُ إليه  
وقال أيضاً: [من الوافر]

إذا هبَّتْ له نسماُتٌ وجدٍ  
إذا غنى به الحادي ركاباً  
وطابَ السَّيرُ وانقضتِ الفيافي  
أحبُّ القُربَ من سُكَّانِ نجدٍ  
وأخلصُ في مودَّتِهِمِ ضميري  
وقد أغلقتُ بابَ السَّمعِ عن مَنْ  
إذا ركبوا ملامَهُمُ لِعَذلي  
وعزَّ عليَّ أَنهمُ صديقُ  
ولكنَّ الهوى فرسٌ جموحُ  
وقال: [من الكامل]

يا مَنْ لِبِسْتُ بِهِجْرِهِ ثوبَ الضَّنَا  
حتى خفيتُ به عن العُودِ

(١) المنتظم ١٧٤/١٦ .

(٢) المنتظم ١٧٥-١٧٦/١٦ ، الكامل ١٠١-١٠٢/١٠ . وفي السير ٤٠٩/١٨ ، وبقية المصادر: مسعود بن عبد العزيز .

أجفانُ عيني كيفَ كان رُقادي  
أيدي فأنتَ مَفْتَتُ الأكبادِ

وقال: [من المديد]

من طريقِ العَذَلِ يُبدي ويعيدُ  
لا تُرِدُ نُصْحاً لمن ليس يُريدُ  
ما على إحسانه عندي مَزِيدُ  
فاستماعُ العَذَلِ شيءٌ لا يُفيدُ  
في هوى مَنْ هو عن ليلي رَقودُ  
جسدي يبلى به وهو جديدُ  
في جهادِ الأعينِ النُّجْلِ شهيدُ

وَأُنْسْتُ بالسهرِ الطويلِ فَأُنْسِيَتْ  
إِنْ كَانَ يوسفُ بالجمالِ مُقَطَّعِ الدِ

قَلْتُ للعاذِلِ لَمَّا جَآني  
أَيُّهَا العاذِلُ لي في زعمه  
فَالذِي أَنْتَ لَهُ مُسْتَقْبِحُ  
فإِذَا نَحْنُ تَشَاكِينَا الهوى  
حَبِّذَا الليلِ الَّذِي أسهرُهُ  
وَنَعْمُ أَهلاً بِسربالِ ضنَّا  
وهنيئاً لفؤادي أَنَّهُ

وقال: [من الطويل]

فحاشى لِدَاكَ القَلْبِ أَنْ يتكَدَّرَا  
ولا أَنْ معروفَ الهوى صارَ مُنْكَرَا  
عزيرُ على الأيَّامِ أَنْ يتغَيَّرَا  
فلا بِرَحْتِ طَوْلِ الزمانِ تَعَثَّرَا  
فلا صافِحَتْ أجفانُها لَذَّةَ الكَرَى  
وكتب إلى القائم بأمر الله وكان قد استكتب أهل الذمَّة، وضمَّن ابن فضلان

لِئِنْ كَانَ ذَاكَ الوُدُّ كُدَّرَ شُرْبُهُ  
فلا تحسبنَّ الوُدَّ صارَ مُهَوَّنَا  
فواللهِ إني ذلك المخلصُ الَّذِي  
وإنَّ تَسَعَ رجلي نحوَ غيرِكَ عن رضا  
وإنَّ نظرتُ عيني إليه بلذَّةٍ

اليهودي ضياعه، وفتك في المسلمين: [من الكامل]

طَهَّرَتْ أَصُولَهُمْ مِنَ الأَدْناسِ  
ما هكذا فعلتُ بنو العباسِ  
ناسٍ لِقَاءَ اللّهِ أَوْ مُتَناسِ  
ولَّى اليهودَ على رقابِ الناسِ  
فبُيُوْثُها قَفَرُ بلا إيناسِ  
ظلماً وتنسى مُحْصِي الأَنفاسِ  
كسَبَتْ يداكَ اليومَ بالقِسْطاسِ

يا ابنَ الخلائفِ من قريشٍ الَّذِي  
قَلَّدَتْ أَمْرَ المسلمينِ عدوَّهُمْ  
حاشاكُ من قولِ الرعيةِ إِنَّهُ  
ما العذرُ إِنْ قالوا غداً هذا الَّذِي  
أَتَقولُ كانوا وَقَرُوا أموالنا  
لا تذكُرْنَ إحصاءَهُم ما وَقَرُوا  
وَحَفِ الجِزاءِ غداً إِذا وَقِيَتْ ما

أَوْ مُهْطِعٌ أَوْ مُقْنِعٌ بِالرَّاسِ  
نَارٌ وَحَاكِمُهُمْ شَدِيدُ الْبَاسِ  
فَغَدَا تُوفِّيَهَا مَعَ الْإِفْلَاسِ  
مُتَصَرِّفِينَ الْحُدُقِ الْأَكْيَاسِ  
فَافْعَلْ وَعُدَّ الْقَوْمَ فِي الْأَرْمَاسِ

وَصَارَ ذِكْرُهُمْ يَجْرِي مَعَ النَّفْسِ  
أَثَارُ قَرِيٍّ جَدِيدٍ غَيْرِ مُنْدَرِسِ  
مَعَ الْبِرَاءَةِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ دَنْسِ  
يَا سَادَتِي فَرْمَانِي اللَّهُ بِالْخَرَسِ

فُحْرَمْتُ سُؤْلِي فِي الْلِقَاءِ سَرِيعَا  
صَدَقْتُ مُنَايَ أَنْ نَعُودَ جَمِيعَا  
مَا انْفَكَّ سِنِّي بَعْدَهَا مَقْرُوعَا  
فِي الْحَالِ أَلْسِنَةً تَقُولُ رَجُوعَا

مَا تَمَّ قَوْلٌ لِإِبْلِيسَ وَلَا عَمَلُ  
فَعَلَنَ فِي الْقَلْبِ مَا لَا يَفْعَلُ الْأَسْلُ<sup>(١)</sup>  
يَوْمَ النَّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعَلُ  
عَنِ الْحَرَامِ فَذَاكَ الْفَارَسُ الْبَطْلُ

وَمَنْبَتِ الْبَانِ مِنْ نُعْمَانَ عُوْدَا لِي  
لَهْفِي عَلَى مَا مَضَى مِنْ عَصْرِكِ الْخَالِي

فِي مَوْقِفٍ مَا فِيهِ إِلَّا شَاخِصٌ  
أَعْضَاؤُهُمْ فِيهِ الشُّهُودُ وَسَجْنُهُمْ  
إِنْ تَمَطَّلِ الْيَوْمَ الدُّيُونَ مَعَ الْغَنَى  
لَا تَعْتَذِرْ عَنْ صَرْفِهِمْ بِتَعَذُّرِ الْـ  
مَا كُنْتَ تَفْعَلُ بَعْدَهُمْ إِنْ أَهْلِكُوا  
وَقَالَ أَيْضاً: [مِن الْبَسِيطِ]

قُلْ لِلذِّينِ جَفَوْنِي إِذْ لَهَجْتُ بِهِمْ  
صُدُّوا وَأَرْضُوا مُحِبِّكُمْ إِذَا دَرَسَتْ  
مَاذَا يَضْرُكُمُ أَتِي أَحِبُّكُمْ  
إِنْ كُنْتُ أَذْكَرُ شَيْئاً غَيْرَ حُبِّكُمْ  
وَقَالَ: [مِن الْكَامِلِ]

إِنْ كُنْتُ بَعْدَكُمْ أَلْفَتْ هَجُوعَا  
أَوْ ذُقْتُ حَلُوعاً غَيْرَ ذِكْرِكُمْ فَلَا  
لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْفِرَاقُ نَدَامَةً  
لَوْ قُلْتَ سَلْ صَارَتْ جَمِيعُ جَوَارِحِي  
وَقَالَ: [مِن الْبَسِيطِ]

لَوْلَا الْخُدُودُ وَلَوْلَا الْأَعْيُنُ النَّجُلُ  
إِنَّ الْعَيُونَ إِذَا اسْتَمَكَّنَّ مِنْ رَجُلٍ  
لَيْسَ الْهُمَامُ الَّذِي يَحْمِي مَطِيَّتَهُ  
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ ظَرْفًا أَوْ ثَنَى بَصْرًا  
وَقَالَ أَيْضاً: [مِن الْبَسِيطِ]

يَا لَيْلَتِي بِذَاكَ الشَّيْحِ وَالضَّالِ  
وَيَا مَرَاتِعَ أَتْرَابِي بِذِي سَلَمِ

(١) الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شانكة الأطراف. المعجم الوسيط (أسل).

نَأَيْتُمْ صَارَ مَأْوَى كُلِّ بَلْبَالِي<sup>(١)</sup>  
 مِنْ عَيْشَتِي مَعَكُمْ مَا كَانَ بِالْغَالِي  
 مَنَازِلِ أَقْفَرْتِ مِنْكُمْ وَأَطْلَالِ  
 وَنَافِرِ عَاطِلًا<sup>(٢)</sup> مِنْ أَنْسِكُمْ حَالِي  
 طَوْرًا وَأَبْكِي فَأَحْيِيهَا بَتَّهْمَالِي  
 رَجَعَ الْكَلَامِ وَمَا يُبْهَمَنَّ تَسَالِي  
 هِيَهَاتَ كَيْفَ يُدَاوِي بَالِيًا بِأَلِي  
 وَظَاهِرِي مُعْرِبٌ عَنْ بَاطِنِ الْحَالِ  
 مِمَّا وَذَلِكَ فِعْلُ الْخَائِنِ السَّالِي<sup>(٣)</sup>  
 وَغَيْرِ ذِكْرِكُمْ يَا كُلَّ أَشْغَالِي  
 إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ فِي عَصِيَانِ عُدَّالِي

فإلى متى هذا الصُّدودُ يدومُ  
 إلا ثيابٌ تحتهنَّ رسومُ  
 ولقال كيف يُخاطبُ المعدومُ  
 عنها بعذلي إنه لظلومُ<sup>(٤)</sup>  
 عمدًا فأبصرها يكاد يلوُمُ

وأرجو شفائي منهم وهم هم  
 فقلت لهم والله بالصُّدقِ أعلمُ  
 لأنكُم ما جُدتُم إذ وجدتُم

قَدْ كَانَ قَلْبِي بِكُمْ مَأْوَى السَّرُورِ فَمُذُ  
 فَلَوْ شَرَيْتُ بِعَمْرِي سَاعَةً سَلَفْتُ  
 مَا لِي أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْوَقُوفِ عَلَى  
 قَدْ بُدِّلْتُ صَامِتًا مِنْ نَاطِقِ لَسِينِ  
 أُمَيْتُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي خَمَائِلِهَا  
 وَأَبْتَغِي مِنْ رِسُومٍ قَدْ دَرَسْنَ بِهَا  
 أَأْرْتَجِي الْبُرَّةَ مِنْهَا وَهِيَ بِالْيَةِ  
 مَنْ لِي بِكْتِمَانِ مَا أَلْقَاهُ مِنَ أَلْمِ  
 قَالُوا تَشَاغَلَ عَنَّا وَاصْطَفَى بَدَلًا  
 وَكَيْفَ أَشْغَلُ قَلْبِي عَنْ مَحَبَّتِكُمْ  
 لِيَهْنَقُومُ أَطَاعُوا فِي عَوَازِلِهِمْ  
 وَقَالَ أَيْضًا: [مِن الْكَامِلِ]

قد حان من سفر الصُّدودِ قدومُ  
 لم يبق منِّي ما يبين لناظِرِ  
 لو أنها ظهرت لأقصر عاذلي  
 إن الذي يهوى ظلوم وينتهي  
 ما لام فيها عاذل فبدت له  
 وقال: [مِن الطويل]

أبئتهم وجدي وهم بي أعلمُ  
 وكم عدلوني فيهم غير مرة  
 وجدتُم ولكني وجدتُ عليكم

(١) البلبال: شدة الهم. المعجم الوسيط (بلبل).

(٢) في (ب): عاطراً.

(٣) السالي: النَّاسِي، مِنَ السَّلْوِ.

(٤) في النسخة الوحيدة (خ): عدوله لظلوم. ولم يستقم لي وزنه ولا معناه، ولعل الصواب ما استظهرته.

وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم  
إلى أن يعود القلب ثم تكلموا

يراك الصّرف صرف الدهر أهلا  
ألاقي عندهم أهلاً وسهلاً  
فأما غيركم حاشا وكلاً  
فقد أنهيته والأمر أعلى

يغيب عن جسمي جئت إليه  
تباعد عن عيني بكيت عليه

ل إذا طال بالصّدود علياً  
وهو يشكو بُعد الصّباح إلياً

### ناصر [بن محمد] بن علي<sup>(١)</sup>

أبو منصور، التركي، والد محمد بن ناصر، ولد سنة تسع وثلاثين وأربع مئة، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث الكثير، وقرأ الأدب واللغة، وتوفي ببغداد في ذي القعدة شاباً لم يبلغ ثلاثين سنة، وكان صالحاً ثقةً، ورثاه أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع بقصيدة طويلة أولها: [من المتقارب]

معاشر في الثرب أمسوا رماما  
سقاهم بكأس المنايا مداما  
مقيل لكم إن أردتم مقاما  
فأبليّن تلك الوجوه الوساما

إذا كان قلبي موثقاً في حبالكم  
فإن شئتم أن تعذّلوا فترققوا  
وكتب إلى القائم بأمر الله: [من الوافر]

أمير المؤمنين نداءً عبدي  
فلي في الأرض متسع وقوم  
ولست بضارع إلا إليكم  
وهذا شرح حالي فاسمعه  
وقال: [من الطويل]

ألفت الضنا من بعدكم فلوانه  
وصار البكا لي مؤنساً فلوانه  
وقال أيضاً: [من الخفيف]

ليس لي صاحب معين سوى اللئى  
أنا أشكوهم الحبيب إليه

سلام وأنى يرد السلام  
لدى البيض صرعى كأن الحمام  
أحببنا في بطون الثرى  
تبدلتم بالقصور القبور

(١) المنتظم ١٧٦/١٦-١٧٨. وما بين حاصرتين سقط من (خ).

وللشَّمْلِ بعد الفراقِ التُّأَمَّا  
 تحفُّ بكم موحداً أو تؤاماً  
 تَضَمَّنَ قوماً علينا كراماً  
 قِ أغمدتُ بالأمسِ فيه حُساماً  
 فَ والحلمَ والعلمَ فيه حماماً  
 قَ دافعَ عنكَ المنيا وحامياً  
 شنتُ<sup>(١)</sup> [على]<sup>(٢)</sup> الموت موتاً زؤاماً<sup>(٣)</sup>  
 [لشيءٍ]<sup>(٤)</sup> فأجدُرُ أن لا يُضاماً  
 بمُسمعةٍ لو أظقتَ الكلاماً  
 بِ فيكَ المُصابُ وعمَّ الأناماً  
 نِ ظمَّانَ لم أشفِ منك الأواماً<sup>(٥)</sup>  
 حِ خانثُهُ عند النهوضِ القُدامى  
 ويأبى لها الوجدُ إلا ضراماً  
 فأيقنتُ بعدكَ أن لا ألاماً  
 ولا ازدادَ بعدكَ إلا هياماً  
 فأقصى خيالكُ ذاك المراماً  
 أحسبُ يومَكَ إلا مناماً  
 فقد عادَ من بعد<sup>(٦)</sup> بشرٍ جهاماً  
 تُضيءُ الدُّجى وتُزين النُّظاماً  
 وجلَّلنا بعد نورِ ظلاماً

ألا هل أرى لكم أوبةً  
 أرى كلَّ يومٍ مطايا المنون  
 نُحيِّي ضرائحَكُم إنَّها  
 سلامٌ على جدِّك بالعرا  
 دفنتُ العُلا والثُّقى والعفا  
 أناصرُ يفديكَ مَنْ لَوْ أطا  
 أناصرُ لو أن لي ناصراً  
 هو الدهرُ لا يُتقى ضيمُهُ  
 أناديكَ إذ لات حين الدعاء  
 لقد خصَّني يا قرينَ الشِّبا  
 وأوجدني منك ريبُ المنو  
 وكيف يطيرُ قصيصُ الجنا  
 وأطفئُ بالدمعِ نارَ الحشا  
 وكنتُ ألامٌ على أدمعي  
 فلا استشعرَ القلبُ عنكَ السُّلُو  
 إذا رامَ صبراً تمثَّلت فيه  
 وما أنا من بعد علم اليقين  
 لقد كنتَ غرَّةً وجه الزَّمان  
 وكنتَ على تاجِهِ دُرَّةً  
 فأضحى بك الدهرُ مستأثراً

(١) في المنتظم : صبيت.

(٢) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.

(٣) الزُّوام : العاجل. المعجم الوسيط (زأم).

(٤) مابين حاصرتين من (ب) والمنتظم.

(٥) الأوام : حرارة العطش. المعجم الوسيط (أم).

(٦) في المنتظم : عاد.

فُتِبْتُ<sup>(١)</sup> حميداً ولم تلقَ ذاماً  
 ءِ فاعتضتَ في الخلدِ عيشاً دواماً  
 فقد كنتَ في كلِّ فنٍّ إماماً  
 والناسُ بعدك إلا سواماً  
 يَزِدُّنَ بعدك إلا انعجاماً<sup>(٢)</sup>  
 مَ إذا ازدحمتَ في الصُّدورِ ازدحاماً  
 إذا اضطربتَ أبخرُ العلمِ عاماً  
 وقدماً تقدّمتَ فيها غلاماً

وَضَنَّ بِكَ الدهرُ عن أهلهِ  
 وأيقنتَ أنَّ الدُّنَا للنفنا  
 لتَبِكَ عليك فنونُ العلومِ  
 وما كنتَ إلا قريعَ الزمانِ  
 ألا لا أرى مشكلاتِ الأمورِ  
 فَمَنْ ذا يُفرِّجُ عنَّا الهمو  
 وَمَنْ للمجالسِ صدرٌ سواكِ  
 وَمَنْ للمحاربِ أهلٌ سواكِ  
 وقال أيضاً<sup>(٣)</sup>:

وكلُّ سنينك ثلاثون عاماً  
 لك عاجلٌ فيه السَّرارُ<sup>(٥)</sup> التماماً  
 تَ يُصبحُ للذُّودِ يوماً طعاماً  
 كما قد لقيتَ ألقى<sup>(٦)</sup> حماماً  
 ترى الخلقَ في حافتيهِ قياماً  
 على القُربِ والبُعدِ أهدي السَّلاماً

تجاوزتَ في العلمِ حدَّ الشيوخِ  
 ولم [أر] <sup>(٤)</sup> كالـيومِ بدرأ سوا  
 فحاشا لساناً تلا ما تلو  
 وهوَّونٌ وجدي أنِّي غداً  
 وأن سوفَ يجمعُنا موقفٌ  
 عليك السلامُ فإنِّي امرؤٌ

### السنة التاسعة والستون وأربع مئة

فيها في صفر غلب على المدينة محيط العلوي، وأعاد خطبة المصريين، وطردها منها الحسين مهنا أميرها، فقصده خراسان إلى ملكشاه ونظام الملك، وكان قد أساء السيرة، ووضع على الواردين لزيارة قبر النبي ﷺ أتاوة، فقامت الشناعة، واجتمعت القبائل مع محيط بهذا السبب.

(١) في (ب): فُمْتُ وفي المنتظم: فُئِلْتُ.

(٢) في المنتظم: انقحاما.

(٣) هذه العبارة من الأصل (خ)، وكأنها مقحمة؛ لأن ما بعدها هو تنمة للقصيدة، وهي ليست في المنتظم.

(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم.

(٥) السَّرار: آخر ليلة في الشهر. المعجم الوسيط (سرر).

(٦) في المنتظم: مُلاق.